مكانة المُسنين في الإسلام

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

أما بعد: يقول الله عز وجل {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ}

عباد الله: اعلموا أن الله تعالى لكمال علمه وحكمته وكمال قوته وقدرته خلق الناس من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل بعد تلك القوة ضعفاً.

وفي الضعف الأول وهو مرحلة الطفولة يكون الطفل محفوفاً برحمة والديه وشدة حرصهم عليه وسهرهم أن لا يصل مكروه إليه.

ثم في حال الشباب والقوة يكون بعد عون الله معتمداً على قوته وقدرته وإمكاناته، ثم يتدرج به الحال حتى يعود إلى الضعف شيئاً فشيئاً حتى يكون شيخاً كبيراً قد شاب شعره ووهن عظمه ورقّ جلده وصار يعجز عن كثير مما كان يقوم به بنفسه، وقد تضعف ذاكراته أو يختل عقله حتى لا يعلمَ شيئاً ممن كان يعلم كما قال تعالى (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا).

وهذه وقفات مع مرحلة كبر السن والتقدم في العمر من خلال المسائل التالية:

أولاً: لنعلم أن طول العمر نعمة إذا استغل المعمّر عمره في طاعة الله، وأما من طال عمره وساء عمله فذلك من شر الناس والعياذ بالله كما قال ﷺ "أنَّ رجلًا قالَ: يا رسولَ اللَّهِ أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ ، وحَسنَ عملُهُ ، قالَ : فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ وساءَ عملُهُ" رواه الترمذي.

ثانياً: لمرحلة الكبر فضل على مرحلة الصغر والشباب، ففيها يكون وفور العقل وثقوب النظر وخبرة السنين ودروس التجارب وضعف سلطان الهوى والطيش، وإذا كان الكبير ذا علم وسُنّة كثر خيره وعظمت بركته، وفي ذلك يقول ﷺ (البركة مع أكابركم)
وقال في شأن الخوارج ذاماً لهم منفراً عن اتباع مناهجهم (حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام) أي صغار السن سفهاء العقول.

ثالثاً: ينبغي لأهل السن والعلم والحكمة أن يتلطفوا مع الشباب ويصبروا عليهم ويتألفوهم حتى ينتفع الشباب من علمهم وخبرتهم وحكمتهم فالشباب اليوم هم كهول الغد وشيوخه وسادته فإذا بلغوا تلك السن مسلحين بخبرة من سبقهم عظم النفع بهم.

رابعاً: لكبير السن منزلة في الإسلام فينبغي أن يرعى حقه وأن يحفظ مقامه وأن تقدر مكانته وأن يربى

الصغار على ذلك لينشؤوا عليه، ومما يدل على هذا قوله ﷺ «إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ» فمن إجلال الكبير أن يقدم عند الكلام فقد ثبت في الصحيحين أن ثلاثة أتوا النبي ﷺ ليتكلموا معه في قضية قتل فأراد أخو القتيل أن يتكلم وكان أصغرهم فقال له النبي ﷺ (كَبِّر كَبِّر) يريد دع الحديث لمن هو أكبر منك سناً.

ومن إجلاله أن يقدم في مناولة السواك والشراب والطعام ونحو ذلك مما يكون من باب التكريم والتفضيل عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال " أراني في المنام أتسوك بسواك، فجذبني رجلان، أحدهما أكبر من الآخر، فناولت السواك الأصغر منهما، فقيل لي: كَبِّر ، فدفعته إلى الأكبر " متفق عليه.

ومن إجلال الكبير أن يوسع له في المجلس إذا دخل عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء شيخ يريد النبي ﷺ فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له فقال النبي ﷺ "ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا".
ومن إجلال الكبير أن يُتلطف معه وأن يُشعر بتوقيره وتقديره وأن تُراعى أخلاقه إذا كان في خلقه شدة أو سرعة غضب.

ومن إجلال الكبير ورحمته أن يراعيه الإمام في الصلاة فلا يطيل إطالة تشق عليه لقوله ﷺ «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ، فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ» متفق عليه.

ومن إجلال الكبير أن يبادره الأصغر منه بالسلام لقوله ﷺ (يُسلّم الصغير على الكبير) رواه البخاري

بارك الله لي ولكم في القرآن الكريم ونفعني وإياكم بهدي سيد المرسلين أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .. أما بعد:
عباد الله: اعلموا أن تلك الآداب الفاضلة والأخلاق السامية التي حثت عليها شريعتنا في التعامل مع كبار السن تلك الأخلاق التي تدور بين التوقير والتكريم والإجلال وبين الرحمة والعطف والرأفة شرعت لنا في التعامل مع كبير في السن من المسلمين من قريب أو بعيد من جار أو غير جار ممن نعرف أو ممن لا نعرف. بل إن لكبير السن من الكفار غير المحاربين حقاً في رحمته والرفق به ورعايته بما لا يتنافى مع الشرع المطهر الحنيف. فإذا كان هذا حق كبير السن عامة فكيف بحقه إذا كان هذا الكبير هو الأب أو الأم لا شك أن حقهما أعظم وآكد وأجل وأخطر، وقد وصى الله تعالى بالوالدين إحساناً وصية عامة تشمل الإحسان إليهما سواء كانا في قوتهما أو ضعفهما ثم أكد على الوصية بهما في حال الكبر حيث تكون حاجتهما إلى العناية والرعاية والمراعاة أكثر فقال تعالى {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا} وتوعد النبي ﷺ بالذل والخسار والخيبة من أدرك أبويه عند الكبر فلم يدخل الجنة ببرهما إشارة إلى أن الجنة قريبة دانية ممن أدرك أبويه عند الكبر أو أحدهما إذا

اتقى الله وبر بهما فقال ﷺ في ذلك صحيح مسلم «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف»، قيل: من؟ يا رسول الله قال: «من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كليهما فلم يدخل الجنة» رواه مسلم

فاتقوا الله معاشر الأبناء والبنات في آبائكم وأمهاتكم ولا سيما عند بلوغهم الكبر أحسنوا صحبتهم وسارعوا في مرضاتهم وأبشروا بالجنة وأبشروا بخير الدنيا والآخرة. ويا أيها الشباب تخلقوا بهذا الخلق الجميل وهو إجلال المسنين واحترامهم ورحمتهم فإن الجزاء من جنس العمل فأعينوهم عند قطع الطريق أو حمل المتاع، وبإيثارهم بالمقاعد في أماكن الانتظار في صالات المطار أو المستشفيات ونحو ذلك فإن ذلك لا يزيدكم إلا رفعة وسمواً.

اللهم زينا بمحاسن الأخلاق ومكارمها واصرف عنا منكرات الأخلاق ومساوئها، اللهم اجعلنا ممن طال عمره وحسن عمله، اللهم آمنا في دورنا واصلح أئمتنا وولاة أمورنا اللهم وفق إمامنا وولي عهده بتوفيقك وأيدهم بتأييدك وارزقهم البطانة الصالحة الناصحة يا رب العالمين، اللهم أصلح أحوال بلاد المسلمين وأنزل عليها الأمن والسكينة والطمأنينة برحمتك يا أرحم الراحمين. اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار اللهم صل وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وقوموا لصلاتكم يرحمكم الله